شيطان البحر

ريم قيس كبه

شيطان البحر بدا
مشدودَ الأوتار
لمّاعاً أملسَ
يحدج خطوي
بعيونٍ حُمرٍ ليليه
مشدود الجفنِ
يزمُّ الشفتين
قد ألمحُ أسناناً تبسمُ
أهرعُ للغرفةِ مفزوعهْ
أفتح بابي
تنفجرُ الظلمةُ في وجهي
أصرخُ:
وأعوذُ من الظلمةِ
باللاأدري ما أُسْميه
أعلمُ أن الشيطانَ البحريّ
انثالَ لخوفي
أقفل بابي
أتوارى بالمصباحِ
وأحضن قلمي
وحين يهدّىء من روعي المصباحُ
وألفظ أنفاسي
أتدثّر بالنوم أو الحلم
أتوسّل للفجر بان يأتي
أحلمُ
كانت تهواك الحوريةُ يا شيطان البحر
وتخشاك
تعانق جمر الغوصِ إلى القاعِ
تفتّش عن صدفٍ نَزِقِ

لكنّك كنت غروراً
تثملُ من زبدٍ عائم
. . .
وحين تغيَّر شكلُ الحلم
غدوتَ تشابهُ سمكَ القَرش
حببت الغوصَ إلى الأعماقِ
لتجلو نزق الحوريةِ
. .
لَبَستْ صدف البحر جناحين وطارت
وغدت غيمهْ
. . .
وأفيقُ على الغيمةِ
كان الكابوسُ رقيق القسماتِ
حاولت تذكّر شكل الأسماكِ
ولون سماءِ القاعِ
لكن سماءَ الضيق اتّسعت
تتحدّى ذاكرتي
وثقيلاً صار غطائي
قضبان النومِ أعدَّتْ عدّتها لرحيلٍ
مجنونٍ
والحلمُ توارى . .
- هل أرحل؟
(قلت لنومي)
- قد أتحدّى أفق الضيق وأرحلُ
رغم تربّصِ شيطان البحر وسطوته
أمسكُ كفَّ حبيبي
آهٍ . .
كم أخشى الصفعة تضربُ وجهي
وحبيبي مشلولُ القدمينْ
هل اتخذت نبضاتي شكلاً آخر للموتِ
أم ابتدع الموتُ نزيفاً
غير نزيفي
. . . .
ماذا يا شيطان البحر؟
أما كنت تحبُّ الحورية؟
أعلمُ أنك تعشقها
والحبُّ مزاحٌ وحشيٌّ
يحدجني
بعيونٍ تشبهُ عينيك الحمراوينِ
ولون نزيفي . .
ماذا يا شيطان البحر؟
أما تشعرُ بالإعياءِ من العدو وراء
سرابي
مازلتَ تفكّر أني قد أسلمُ روحي؟
عبثاً
ياذا الشيطان المسكين
عبثاً تختال أمام جراحي
فدخان سجائر غربتك المرةِ
لن تخنقني
ها قد أيقنت بأنك مثلي
ندّي
وجميلٌ أن أتباهى بجنون عدوّي
ها نحن معاً
رغم عواءِ شظاياك
ورغم صهيل فؤادي
وخواء مسافات العالمِ حولي
فهلمَّ
- إذا كنت حقيقهْ -
فلقد أيقنت بأنّك
ظلّي . . .

* * *

بغداد